

## مفهوم الحضارة وعناصر تكوينها (دراسة تحليلية ومقارنة)

### The concept of civilization and the elements of its formation (Analytical and comparative study)

عامر علي النعيمي

جامعة قطر

amer.alnaemi@outlook.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/10 تاريخ القبول: 2022/09/19

#### الملخص:

تهدف الدراسة لتسليط الضوء على الحضارة من حيث المفهوم والعناصر وفقاً لمنظريها، وسعياً لتحقيق ذلك اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والتحليلي والمقارن. وقد توصلت الدراسة إلى أن مفاهيم الحضارة متعددة إلا أنها تدور في فلك واحد، وأن اختلاف العناصر لقيام الحضارة تشابه لدى المنظرين المسلمين واختلف مع الغربيين في بعض النقاط. **الكلمات المفتاحية:** الحضارة؛ الدورة الحضارية؛ الثقافة؛ ابن خلدون؛ إدوارد تايلور.

#### Abstract:

The study aims to shed light on civilization in terms of concepts and elements according to its theorists, and to achieve this, the study relied on the historical, analytical, and comparative methods. The study concluded that the concepts of civilization are multiple, but they revolve in one orbit, and that the different elements for the establishment of civilization are like Muslim theorists and differ with Westerners on some points.

**Key words:** Civilization; Civilization Cycle; Culture; Ibn Khaldun; Edward Taylor.

#### المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين.  
أما بعد،

في العالم الذي نعيش فيه مرت عليه عدة حضارات منها ما زال قائماً حتى يومنا الحاضر ومنها ما طُمس واندثر بفعل عوامل التعرية وغيرها من العوامل الطبيعية والإنسانية ولم يتبق منه سوى الآثار والأطلال. وعلى ضوء ذلك نستذكر آية من القرآن الكريم يصف بها الأمة الإسلامية بـ «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (آل عمران: 110)، بمعنى أن الأمة الإسلامية تمر بمراحل الدورة الحضارية لكنها لا تموت كباقي الأمم لما تمتاز به من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر واتباع صراط الحق المستقيم. وفي هذه

الدراسة سنبحث في مفهوم وماهية "الحضارة" ومعناها ومما اشتقت كلمة "الحضارة" منه والمصطلحات ذات العلاقة بالحضارة مثل: الثقافة، العمارة، المدنية، الدين، التاريخ، الدولة، والمجتمع بالإضافة إلى العناصر التي تتكون منها أي حضارة حسب نظرية كلاً من العالم الإسلامي (ابن خلدون) و(إدوارد تايلور) و (مالك بن نبي) و (أوسفالد شبنغلر) ثم نخرج بنتيجة منطقية للعناصر الحضارية للحضارة. وأخيراً سنستطرد في الدورة الحضارية من المنظور الإسلامي والغربي.

ويجب ألا نغفل أهمية الحضارات في بناء الإنسان والأرض عبر التاريخ، فكل حضارة اندثرت تركت إرثاً بنت عليه حضارة أخرى وهكذا حتى وصل الإنسان اليوم إلى ما وصل إليه من علوم وتقدم في مجالات عدة، وبناءً على ذلك تكمن أهمية البحث في دراسة المفاهيم العلمية والنظريات للحضارة علاوة على ذلك العناصر التي تتكون منها الحضارة والخروج بنتائج منطقية يستطيع الباحث البناء عليها مستقبلاً دون الرجوع لنقطة البداية، سنعتمد في هذا البحث المنهج التاريخي، بالرجوع للكتب والمجلدات التي تناولت الحضارة ماهيتها ودورها، والمنهج التحليلي الذي من خلالها سنقوم باستنباط وتحليل ما تم ذكره في الحضارة وعناصرها ونظرياتها. والمنهج المُقارن للمقارنة بين كلاً من الرؤية الإسلامية للحضارة والغربية.

### مشكلة الدراسة

تتناول الدراسة مشكلة رئيسية تتمثل في: ما هيه مصطلح الحضارة؟ والعوامل التي تُعد أسباباً لقيامها؟ بجانب هذه الإشكالية الرئيسية، توجد إشكالات تتفرع عنها، تدور حول هذه المحاور الآتية:

- 1- ما الفرق بين المصطلحات الآتية: الحضارة والثقافة والمدنية؟
- 2- ما المشتركات والاختلافات للنظريات حول الدورة الحضارية عند المنظرين المسلمين والغربيين؟
- 3- ما أوجه الاختلاف والاتفاق بين كلاً من الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية على مستوى نشأة ودورة وتصنيف الحضارات؟

### أهمية البحث

تتباين الرؤى والنظريات في تعريف الحضارة، عناصر تكوينها، الدورة الحضارية، على ضوء ذلك تكمن أهمية الدراسة في استعراض مفهوم الحضارة وعناصر تكوينها والنظريات التي ذُكرت في تعريف الحضارة لاستخلاص النظريات والرؤى في هذه الدراسة وتحليلها تحليلاً منطقياً للتوصل إلى المفهوم الأقرب للواقع والمنطق للحضارة ولعناصر تكوينها، من خلال عرض أهم نظريات الفلاسفة والعلماء، وتتبع أهمية الحضارة من ارتباطها بالتطور والرقي الإنساني ومدى انحدارها وتأثير ذلك بصورة رئيسية على المجتمعات الإنسانية. وفي نهاية هذا البحث إن شاء الله ستصبح لدينا مادة علمية يُبنى عليها مستقبلاً في مفهوم الحضارة ومكوناتها.

### أهداف البحث

- 1- استعراض المفاهيم التي وردت حول الحضارة.
- 2- استخلاص أهم النظريات التي ذُكرت في تعريف الحضارة.
- 3- التعرف على العوامل التي تتكون منها الحضارة.
- 4- فهم الفوارق بين كلاً من الحضارة، والثقافة، والمدنية، والدين.
- 5- بيان الرؤى الإسلامية والغربية وأوجه الشبه والاختلاف فيما بينها حول الحضارة.

## المبحث الأول: ماهية الحضارة، ومفهومها

**المعنى اللغوي للحضارة:** "الحضارة اسم وجمعها الحضارات، مصدرها حضرَ. الحضارة الإقامة في الحضر. الحضارة هي التمدن والتمدن مشتقه من المدن التي يعيش فيها مجموعة من البشر بصفة إقامة دائمة وعكسها البداوة، والتي هي مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني"<sup>1</sup>، على ضوء ذلك، نستخلص مفهوم الحضارة في اللغة بمعنى الإقامة في الحضر "الاستقرار" بخلاف المجتمعات البدائية ما قبل "الحضارة" التي تعيش مرحلة البداوة وتعتمد على أساليب بدائية ووسائل بسيطة في مرحلة حياتها مثل الاعتماد على الصيد والتنقل والترحال أينما وُجد المأوى والكأل.

**المعنى الاصطلاحي للحضارة:** "الكل المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات، والقيم، والتقاليد، والقوانين، والمعلومات، والفنون، وأيّ عادات، أو سلوكيات، أو إمكانات، يمكن أن يحصل عليها فرد ما في مجتمع ما"<sup>2</sup>.

من خلال تعريف "إدوارد تايلور" لمفهوم الحضارة الاصطلاحي، نجد أن الحضارة حسب تعريف علماء الاجتماع "بأنها الحالة الراقية التي تكون عليها الأمم تحت تأثير العلوم، والصنائع، والفنون، والأخلاق، والشعارات العامة لتلك الأمة"<sup>3</sup>.

وردت كلمة "حضر" في عدة مواضع من القرآن الكريم ومنها:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ (البقرة: 133).

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوهَا بُيُوتِكُمْ﴾ (البقرة: 282).

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ (الأعراف: 163).

والمعنى في الآية الأولى، أم كنتم حاضرين شاهدين بمعنى الحضور من حضرَ على الواقعة عندما أقبل الموت على سيدنا يعقوب عليه السلام. وفي الآية الثانية، التجارة الحاضرة تعني التجارة القائمة التي تعملون عليها والحضور عكس الأقول. أما الآية الثالثة، فتتحدث عن القرية الحاضرة بمعنى الحية المستقرة القائمة على البحر وهي تتناول قصة أهل السبت من بني إسرائيل عندما كانوا يخالفون ويعصون أوامر الله عز وجل.

وباستعراض المعاني التي وردت في سياق الآيات الكريمة من القرآن الكريم، نستطيع أن نستنتج أن الحضارة هي الوجود المادي والمعنوي الذي يمكن ملاحظته بالحواس الخمس في زمان ومكان ما.

**ثانياً: تعاريف متنوعة للحضارة ونظريات حول نشأتها**

لقد تناول العديد من العلماء والباحثين "الحضارة" كمفهوم على نحو متباين فكلاً فسر الحضارة حسب دراسته لها كحالة قائمة بذاتها سواء في المراحل الماضية أو المعاصرة. وعلى ضوء ذلك سنستعرض أهم المفاهيم التي تناولت الحضارة.

- "الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي"<sup>4</sup>.

- "فالمجتمع عبارة عن مجموعة منظمة من الأفراد، والحضارة مجموعة منظمة من الاستجابات التي تعلمها الأفراد وأصبحت من مميزات مجتمع معين"<sup>5</sup>.

- "الحضارة -في مفهومنا العام- هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية"<sup>6</sup>.

- "إن كلمة حضارة مُشتقة من الحضر، والحضارة: الإقامة في الحضر"<sup>7</sup>.

تعددت النظريات حول نشأة الحضارات منها من خصها بمجموعة معينة أو سمة وصفة معينة لا تقوم إلا بها ومنها من صنفتها على أساس جغرافي، وبيئي، وقومي.

ويؤكد د. أبو خليل على عوامل نشأة الحضارة بقوله: "وتنشأ الحضارة من عاملين أساسيين، هما: الأرض والإنسان، من موارد الطبيعة، التي تحولها إلى رغبات الإنسان وجهوده وتنظيمه إلى ما فيه منفعة"<sup>8</sup>، ويبين على أن الحضارة لا يحتمل أن تختص بعرق معين لقوله: "لا شروط عرقية لقيام الحضارة، إذ يمكن أن تظهر في أية قارة، يقول توينبي (لا يوجد عرق متفوق بدأت الحضارة على يده)"<sup>9</sup>.

لقد ربط الفيلسوف والمؤرخ الأميركي "ديورانت" بداية تحضر الإنسان مع بداية الصيد سواء الصيد البري أو البحري فعندما بدأ الإنسان يتعلم كيف يستخدم الأدوات لصيد الحيوانات استطاع أن يتحضر فمرحلة الصيد عدها من أوائل مراحل تحضر الإنسان في تلك العصور القديمة ما قبل التاريخ بقوله: "لم يكن الصيد والسماكة مرحلتين من مراحل التطور الاقتصادي، بل كانا وجهين من أوجه النشاط التي كتب لها أن تظل باقية في أعلى صور المجتمع المتحضر"<sup>10</sup>.

أما مراحل تطور الإنسان قبل ظهور الحضارات في وادي الرافدين وشرقي النيل مر الإنسان بعدة حقبة تاريخية حتى استطاع تكوين الحضارات؛ ويعدد تلك المراحل د. أنيس بقوله: "فالمرحلة الأولى، كانت قد تحددت بالعصر الحجري القديم والذي امتد من (حوالي 10,000 ق.م إلى 5000 ق.م) أما المرحلة الثانية، فسميت بالعصر الحجري الحديث والذي امتد من (5000 إلى 3000 ق.م) أما المرحلة الثالثة، فسميت بالعصر البرونزي والذي امتد من (3000 إلى 1200 ق.م) أما المرحلة الرابعة، فهي مرحلة العصر الحديدي الأول الذي امتد من (1200 إلى 700 ق.م)"<sup>11</sup>، ونلاحظ أن العصر الحجري القديم، تميز بالمرحلة الأولية لإعداد الطعام عن طريق صيد الحيوانات بحيث يتم الصيد للحيوانات المتوحشة دون تحديد وبطريقة جماعات بشرية تجتمع لاصطياد الفريسة. وفي نفس هذه المرحلة استطاع الإنسان القديم اكتشاف النار واعتبر ذلك بمثابة تطور غير عادي قد حققه.

وفي العصر الحجري الحديث، بدأ الإنسان القديم يؤسس تجمع خاص به على شكل قرية أو بلدة صغيرة كما قام بتربية الحيوانات واستئناسها، علاوة على اكتشافه للزراعة التي تعتبر من أهم أحداث ذلك العصر، أما العصور التي تلت تلك العصور مثل العصر البرونزي فبدأ الإنسان فيه اكتشاف البرونز والمعادن، فيما العصر الحديدي مُشتق أصلاً من اكتشاف الإنسان للحديد وتعلم صقله وظهور الأدوات المصنوعة من الحديد، ويشرح ذلك التطور في تلك الحقبة د. مناف بقوله: "ونتيجة للتطور الذي حصل في الميدان الزراعي والميادين الأخرى كان المجتمع منقسم إلى طبقتين: 1- طبقة سائدة. 2- طبقة تعيش على فائض الإنتاج. كل هذه التفاصيل، استدعت ظهور فكرة قيام الدولة لتنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كذلك نشوء المدينة على إثر الانقسام الاجتماعي القائم على أساس توفر فائض الإنتاج. فالمدينة كانت نتاج التطور الحضاري وليست سبباً لها"<sup>12</sup>.

ووفقاً لـ "ابن خلدون بنشأة الحضارة هي انتقال من البداوة إلى الإقامة في الحضر ويعتبرها أوج الترف، ومنتهى التطور الثقافي فالحضارة عنده غاية العمران ونهايته وعلامة على فساده، فيعتبر الحضارة نهاية العمران. لقد استخدم "ابن خلدون" عدة ألفاظ في وصف الحضارة فمرة يطلق عليها الدولة والعمران وأخرى الحضارة وهو يقصد بها في جميع الأحوال تحول مجموعة من البشر من حالة البداوة إلى الحضارة. ومن وجهة نظر "توينبي" يرى أن الحضارة لا يمكن أن تنشأ في ظروف سهلة، ولكنها على العكس من ذلك، فهي تنشأ في الظروف الصعبة، لأن الظروف الصعبة حسب نظريته تخلق للإنسان التحدي وهذا

التحدي يطراً عليه استجابة تتفاوت حسب الأحوال وهو ما يُعرف بنظرية (التحدي والاستجابة). ووفقاً لنظرية توينبي يرتبط التحدي الطبيعي بتحدي آخر "بشري" ويشرح ذلك واصفاً الشعوب التي تعيش في محيط قاسٍ مُهدد دائماً بالخطر والغزو من شعوب أخرى أن هذا يولد لديها نزعة الصلابة. بينما، الشعوب المحمية التي تعيش في تحصينات أو بعيداً عن المخاطر لن تكون مثل تلك الشعوب من ناحية التأهب الدائم والسعي نحو الاستجابة للتحديات.

ويؤكد على نظرية الاستجابة والتحدي بمن خلال حديثه عن أن الحضارة المصرية القديمة قبل قيامها كانت تنقسم إلى ثلاث مجموعات حينما واجهوا التحدي، منهم من تمسك بأرضه وتأقلم مع نمط حياته الجديد حتى أصبح من البدو. والقسم الآخر ارتحل جنوباً نحو المناطق الاستوائية، وزاولوا حياة بدائية لا زالوا عليها حتى اليوم حسب رأيه. أما القسم الأخير، اتجه شمالاً نحو دلتا ووادي النيل حيث الغابات والبيئة الصعبة فأسسوا الحضارة المصرية القديمة.

### ثالثاً: علاقة الحضارة بالثقافة والمدنية

ارتبط مفهوم الحضارة بمفهومين "الثقافة" و "المدنية" وهناك من جعلها من مقومات أو عناصر الحضارة بشكل عام وفي هذا السياق سندلل على ذلك من خلال استطلاع تاريخ استخدام الكلمتين في اللغة العربية.

ويشرح العلامة "فريد وجدي" في (دائرة المعارف القرن العشرين / المجلد الثاني) مصدر كلمة الثقافة فيقول: (تقف يثقف ثقافة: فطن وحذق، وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه، وثقفه يثقفه ثقفاً: غلبه في الحذق، والتثقيف: الحاذق الفطن).

والقواميس الحديثة تقول: (تقف ثقافة: صار حاذقاً خفيفاً، وثقف الكلام فهمه بسرعة). أما "بن نبي" فيعتبر كلمة الثقافة دخيلة على اللغة العربية بقوله: "فليس لنا أن نعجب إذا لم نجد كلمة (ثقافة) في وثائق العصر أو في مؤلفات ابن خلدون؛ لأن فكرة (الثقافة) حديثة جاءتنا من أوروبا"<sup>13</sup>. وإذا عدنا إلى قاموس اللغة الإنجليزية بخصوص المصطلح culture فنجد له عدة دلالات منها: ارتباطه بفن الزراعة أو علم الزراعة، والتنمية التي هي نتاج للتعليم والخبرة في المجتمع، والسلوك الراقى والذوق الفكري؛ فلفظ culture يعني السمات الإبداعية والفنية والعلمية الراقية الناتجة عن حضارة أو شخص بعينه.

ومدلولات كلمة "ثقافة" كانت قد مرت بطريق طويل قبل استقرارها على المفهوم الشائع اليوم، بدأت بتنمية العقل والفكر إلى أن صارت الكل المركب الذي يعكس التقدم والتحضر.

ويُقارن "الأحرار" الفوارق بين المصطلحين بقوله: "إن كلاً من الثقافة والحضارة يمثلان خطين مختلفين في الذات الإنسانية، حيث تمثل الثقافة الروح والدين والفن والقيمة والمثل، أما الحضارة فتمثل نمطاً مختلفاً يجمع العلم والطبيعة والمادة، وبصورة أكثر دقة تمثل الثقافة الخلود والثبات أما الحضارة فتمثل التجدد والتطوير، وتمثل الثقافة السماء، في حين الحضارة تعكس الأرض، فالثقافة الوجدان والحضارة العالم الخارجي المشهود"<sup>14</sup>.

وفي اتجاه الترجمة فإن كلمة culture تُرجمت إلى ما يرادفها باللغة العربية إلى كلمتين في اللغة العربية، ذهب اتجاه إلى ترجمتها بمعنى "ثقافة" وكان أول من قام بإطلاق كلمة ثقافة على المعنى باللغة الإنجليزية "سلامة موسى" وقد أخذ دلالة مفهوم الكلمة باللغة الإنجليزية من "ابن خلدون" وهنا فسرت الثقافة لدى هذا الاتجاه بتعلقها بالجانب الذهني، والحضارة "civilization" ربطها بالأمر المادية. أما

الاتجاه الآخر فقد استخدم كلمة culture كمرادف لـ "حضارة" في اللغة العربية واستخدم هذا اللفظ لأول مرة بين أواسط علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أثناء ترجمتهم للمؤلفات الأوروبية.

ويتبين لنا أن هنالك عدة فروقات ما بين مصطلحي الحضارة والثقافة في أن الثقافة معنوية، والحضارة مادية فهي نتيجة لها أثر ملموس. علاوة على أن الثقافة تصور عام، ويختص به أفراد أو مجتمع بعينه، بينما الحضارة يمتد نطاقها ليشمل شعوب وأمم؛ فالأمة الإسلامية تنضوي تحت نطاق الحضارة الإسلامية التي تمتد لتشمل العديد من المناطق الجغرافية والشعوب المختلفة والمتداخلة الذين يجمعهم حضارة واحدة قوامها "الدين". أما الثقافة العربية فحدودها المجتمعات العربية فهي تختص بأفراد أو مجتمعات معينة، ونلاحظ أن الثقافة يظهر جانبها في اللسانيات والعلوم الإنسانية بشكل عام مثل: اللغة العربية، العادات والتقاليد، الأدب. بخلاف الحضارة التي تظهر في الاختراعات، والعلوم، والابتكار، والصناعة مثل: الطراز المعماري الإسلامي، العلوم الطبية والرياضيات التي تُكتشف من قبل أشخاص تجمعهم الحضارة لا الثقافة مثل: الرازي الذين تعود أصوله إلى طبرستان.

ويتناول د. أبو خليل اشتقاق مصطلح المدينة فيقول: "مدينة مشتقة من الحياة المدنية، كما أن الكلمة الأجنبية التي Cavillzation مشتقة من المدنية Civilis أساساً، أو بصورة مباشرة من ساكن المدينة Civis، أو من Civilis وهو ما يتعلق بساكن المدينة، مدينة: كلمة مشتقة من مدن المدائن، أي حضرها وبنائها، ونحتوا منها فعل تمدن، وجعلوا معناها تخلق بأخلاق أهل المدن، وخرج من حالة البداوة، ودخل في حالة الحضارة، والمدنية (والتى اشتقت من مدن المدائن، ومن التمدن)، تعني ابتعاد الجماعات الريفية التي تنتقل إلى المدنية من جذورها، والتمدين يعني الرغبة في حياة أغنى وأرقى، وعلى ذلك.. فالمدنية: التقدم العلمي والتكنولوجي والرفاهية والرقي الذي وصلت إليه المجتمعات"<sup>15</sup>.

ويرى المؤرخ الأميركي "ول ديورانت" بأن الحضارة والمدنية كلمتان اشتقت كل منهما من معنى واحد. إلا أن دلالات مفهوم "المدنية" تبرز أهمها في الابتعاد عن الريف أو الانتقال من البداوة إلى المناطق الحضرية "المدن" مراكز التجمعات البشرية ومما تتميز به "المدن" التي تشتق منها المدنية، العمران، والرفاه، والثقافة، والتطور، والقانون.

وعلى ذلك فعالية المؤرخين والباحثين في المدنية ما بين السياق العربي والغربي، يتفقون على أن ما يقابل "المدنية" حالة "البداوة" وعلى ضوء ذلك فالمدنية هي التمدن البارز في العمران والاستقرار، ومع التطور في العلوم الاجتماعية أضيف إليها القانون والقيم والفنون وهذا انضوى على ربط المدنية بالثقافة، وعندما برزت حركة الترجمة ما بين الشرق والغرب، ذهب اتجاه بترجمة civilization إلى ما يقابلها في اللغة العربية بـ "مدنية" وهذا الاتجاه ترجم الكلمة إلى ما يقابلها حرفياً باللغة العربية، بينما ذهب الاتجاه الآخر إلى ترجمها إلى "حضارة". والاختلاف ما بين المدنية والحضارة لفظي إلا أن معنى المضمون واحد.

### المبحث الثاني: عناصر الحضارة ودورها عند أبرز المنظرين

مما لا يختلف عليه أحد، وكما ساقنا لنا مصادر التاريخ، فإن مؤسس علم الاجتماع "ابن خلدون" هو أول من تناول الحضارة من حيث نشأتها وتطورها وقيامها وسقوطها، وفي هذا المبحث سنتحدث عن عناصر الحضارة والدورة الحضارية عند "ابن خلدون" ثم نستعرض العناصر والدورة الحضارية عند أهم المؤرخين الذين وضعوا نظريات حول الحضارة من حيث عناصرها ودورها وفق نظرياتهم.

**عند ابن خلدون:** لقد قدم "ابن خلدون" الحضارة في صورة الدولة من حيث العناصر ومن حيث القيام إلى السقوط. من أسباب الحضارة والعمران عند ابن خلدون:

أ- **العوامل الجغرافية:** اعتبر "ابن خلدون" العامل الجغرافي حاسم في نشأة الحضارات بقوله: "قد بينا أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب والبرد في الشمال، ولما كان الجنبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط، فيكون معتدلاً، فالإقليم الرابع أعدل للعمران، والذي حافظه من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال، والذي يليهما من الثاني والسادس بعيدان من الاعتدال، والأول والسابع أبعد بكثير، فهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه، بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال، وسكانها من البشر أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً، حتى النباتات فإنما توجد في الأكثر فيها"<sup>16</sup>، وبذلك جعل "ابن خلدون" في مقدمته الثالثة الجغرافيا الطبيعية كعنصر لقيام الحضارة والعمران فالحضارة تنشئ في بيئة جغرافية متهيئة لقيامها.

ب- **عامل الثروة والموارد الاقتصادية:** وربط العامل الجغرافي بالموارد الطبيعية في الأرض التي تساعد بدورها على ظهور الحضارة وارتقائها بقوله: "والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع، المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية، وسائر عوائد المنزل وأحواله"<sup>17</sup>، فجعل "ابن خلدون" عناصر الاقتصاد والموارد الاقتصادية من الأمور التي بها يكون الانتقال من البداوة إلى الحضارة فالعمران والترف وتوافر الصنائع والمواد بالتبعية يُنعش الاقتصاد ويدعو للتحول من الضروريات إلى رغد العيش والكماليات من الأمور، ويؤكد على نظريته بقوله: "لما كان الفتح، وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم، ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة؛ فقد حُكي أنه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رفاعاً، وعرثوا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحاً، ومثال ذلك كثير، فلما استعبدوا أهل الدول من قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجات منازلهم، واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك والقومة عليهم، أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في أحواله، فبلغوا الغاية من ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الأحوال"<sup>18</sup> ويقصد هنا "ابن خلدون" العرب عندما فتحوا تلك الدول، واستخدموهم واستفادوا من خبراتهم وتجاربهم بلغوا مبلغ من الثروة والتمدن والترف وهذا بدوره انعكس على حياتهم بشكل عام فتطوروا وصاروا للحضارة.

ج- **عامل الاستقرار:** كما أن الحضارة لا تنشئ في بيئة البادية فيحسب "ابن خلدون" الحضارة بحاجة للاجتماع والإقامة في الحضر بقوله: "أن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم (الإنسان مدني بالطبع) أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران"<sup>19</sup>. فيعتبر "ابن خلدون" أن الاجتماع الذي هو الاستقرار وهو طور التحول من الريف إلى المدنية التي هي قيام العمران وهي إحدى عوامل قيام الحضارة.

ويشير "ابن خلدون" إلى أن عامل الاستقرار لا يكون إلا بتغلب الحاكم على قومه وقيادته لهم بمعيار العصبية ليتمكن من توفير عامل الاستقرار لقوله: "وقدمنا أن الأدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع، وحاكم يزعج بعضهم عن بعض"<sup>20</sup>، وهذا مثلما حدث أبان تأسيس الدولة السعودية الثالثة، عندما كانت منتشرة الغزوات والغارات بين البدو بعضهم البعض، فبدأ الملك عبد العزيز حينها بشن الحملات لتوحيد قومه تحت لوائه وبهذا تمكن من توفير الاستقرار في دولته.

د- **عامل "العصبية" الترابط الاجتماعي:** وتناول في عوامل قيام الحضارة عامل العصبية الذي قصد من ورائه قوة الروابط الاجتماعية بين الناس بقوله: "لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للمتكون والمزاج

في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر فلا بُد من غلبة أحدها وإلا لم يتم التكوين. فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه تعين استمرار الرياسة في النصاب المخصوص كما قررناه<sup>21</sup>.

وشدد "ابن خلدون" في تلك الرابطة التي وصفها بـ "العصبية" على ضرورة وجود "دين" وجعله أهم فاعل لهذه الرابطة وأساس لاستمرارها وبقائها بقوله: "في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة، وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة؛ فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم"<sup>22</sup>، وهذا يُذكرنا بالطريقة التي قامت بها دولة بني العباس، عندما ربطوا أحقيتهم بالحكم من قرابتهم من النسب الشريف. أما من الناحية الدينية، فتكاد تكون معظم الدول التي قامت على مر التاريخ عند العرب كانت بصبغة دينية بحته، وأخرها الدول السعودية الثلاث والأولى التي مهدت للدولتين الثابنتين كانت بصبغة دينية جليلة وهي الدعوة الوهابية.

ويرسم "ابن خلدون" (الدورة الحضارية) بتقسيمها لمراحل لا تعدوا في الغالب خمسة أطوار يُقسمها إلى طور "البداءة" (الظفر)، طور "العمران" (الانفراد بالمجد)، طور "الدولة" (الفراغ والدعة)، طور "النضج والاكتمال" (القنوع والمسالمة)، وأخيراً "طور الرفاه والترف الزائد" (الإسراف والتبذير) وهذا الأخير يُشير إليه بـ مرحلة أو طور الانهيار والزوال.

وإذا دققنا النظر في مقدمة "ابن خلدون" يظهر أن الحضارة عنده مرتبطة بالدولة، فقد تضمنل وتزول، فالانهيار والزوال لديه أمر حتمي وهذا يضع الحضارة في دائرة مغلقة منذ القيام إلى السقوط، ومعنى ذلك أن لا مفر لأي حضارة من العبور بهذه المراحل حتى الزوال، وهذا ما يخالف الرؤية الإسلامية لحضارة الإسلام، ولكن مقصد "ابن خلدون" قد يكون مرتبط بالدولة أو حضارة الدولة وليس الحضارة بمعناها الشمولي، لأن الحضارة الإسلامية مرتبطة بالدين والمجتمع، وليس الدولة، وعلى ذلك عند النظر لأحداث التاريخ وسقوط الخلافت الإسلامية التي استمرت لقرون لم يستتبعه زوال للحضارة الإسلامية لأنها مرتبطة بالدين والدين مرتبط بالمجتمع وشبكة العلاقات في المجتمعات الإسلامية هي التي تجعل من الحضارة مستمرة.

**عند إدوارد تايلور:** عرف "إدوارد تايلور" الحضارة في كتابه الشهير "الثقافة البدائية" على أنها (الحضارة ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعارف، والعقيدة، والفن، وقيم الأخلاق والقانون، والتقاليد، وكل القدرات، والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع). ومن ذلك التعريف نستق أن عناصر الحضارة عند "إدوارد تايلور" تشتمل على العلوم، الدين، القيم، الفنون، التقاليد، القانون، الثقافة والعمران. علاوة على ذلك، يؤكد "إدوارد تايلور" على عبور المجتمعات الإنسانية لثلاثة أطوار تبدأ بالهمجية فتنتقل إلى البربرية وتنتهي بالحضارة. إلا أنه فضل استخدام مصطلح الثقافة في كتابة "الثقافة البدائية" على الحضارة واعتبر أن المجتمعات السحيقة كانت متطورة إلى حد ما بقدر ما كان متوفر لديها من وسائل، وهذه الثقافة تنمو شيئاً فشيئاً حتى وصل العالم اليوم كنتيجة تراكمية لما آل إليه.

**عند أوسفالد شبنغلر:** عند حديث "أوسفالد شبنغلر" عن الحضارة فإنه يشبهها بالكائن الحي، فينظر للحضارة على أنها تمر بنفس الأطوار التي يمر بها الإنسان، فتولد الحضارة في مرحلة الطفولة، ثم تزدهر في مرحلة الشباب، وتكتمل في مرحلة الرجولة، وتزول في مرحلة الشيخوخة، بقوله: "إن كل حضارة تمر بمراحل العمر ذاتها التي يمر بها الفرد الإنسان، فكل حضارة طفولتها وشبابها ورجولتها وشيخوختها"<sup>23</sup>.



ويؤكد على ربط الحضارة وتشبيهاها بالكائن الحي بقوله: "إن الحضارة تولد في اللحظة التي توظف فيها نفس عظيمة الروحانية الأولية للإنسانية الأبدية الطفولة، وتعزل نفسها، لتصبح شكلاً مما لا شكل له، وشيئاً محدوداً فانياً مما هو خالد وغير محدود، تزهو في تربة رقعة من الأرض محددة لها ومعرفة بها تعريفاً تاماً، حيث تبقى ملتصقة برقعة الأرض هذه شأنها في ذلك شأن النبات، ثم تموت عندنا تحقق هذه النفس كامل إمكاناتها في إشكال شعوب ولغات ومذاهب وفنون ودول وعلوم، وتعود إلى نفسها الأولية"<sup>24</sup>. فنظرة "أوسفالد شبنغلر" حول الحضارة في أن بدايتها تولد من التراب، ويستشهد بذلك أن من التراب قامت وازدهرت حضارات عظيمة، وبهذا يربط الحضارة ودورها الحضارية بالتراب. ويتفق "أوسفالد شبنغلر" مع نظرية "ابن خلدون" في حتمية زوال الحضارات فهي تقع في دائرة مغلقة بمعنى أن الحضارة كائن بيولوجي يولد ويمرض ويشيخ ثم يموت وينتهي دون عودة. وزوال الحضارات يعني نشأة حضارات أخرى لا ترتبط بتلك التي زالت واندثرت، بحسب رؤيته أن لكل حضارة ثقافة جديدة ودورة حضارية جديدة. ومن أبرز المعارضين لفكرة حركة التقدم التي ظهرت في أوروبا "شبنغلر" نظراً لما رآه من غزو العالم المادي على شعوب أوروبا، وهذا حسب وصفه ما سيؤثر على القيم والعلاقات الاجتماعية لأن المادة هي الركن الأساسي في الوضع الذي تعيشه الحضارة الغربية وفقاً له، وذلك سيؤدي بشكل حتمي إلى تدهور الحضارة الغربية وفنائها، واليوم الحضارة الغربية باتت تعيش في عصر ما بعد الحداثة، فالعنصر المادي هو السائد، وتفشت الأوبئة والأمراض الاجتماعية وخرجت حركات ثنّادي بحقوق مثل اختيار الطفل لجنسه عندما يبلغ، وحركات التحرر من جميع القيود وهذا أدى لانتشار الأمراض الاجتماعية التي باتت تنخر في المجتمعات الغربية بسبب إغفال الدور المعنوي والتركيز على المادة والنظام الرأسمالي ويبدو أن كان لشبنغلر نظره سابقه لعصره في ذلك.

**عند مالك بن نبي:** وضع "مالك بن نبي" عناصر الحضارة في ثلاثة محاور:

أ- **عنصر الإنسان:** اعتبر "بن نبي" الإنسان هو المفاعل الأساسي لقيام الحضارة فتقول بريون: "يحتل الإنسان مكاناً مركزياً في نظرية الحضارة عند بن نبي حيث يمثل (الجهاز الاجتماعي الأول... فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ)"<sup>25</sup>، وتصف ذلك بريون بشكل أدق بقولها: "إن الإنسان -أي إنسان- كما يرى بن نبي، يمثل قيمتين، أو كما يسميهما معادلتين؛ الأولى ثابتة لا تتأثر بالتاريخ، وهي كونه كائناً بشرياً حباه الله بالتكريم؛ والثانية متغيرة ومتأثرة بالظروف المحيطة، وهي كونه كائناً اجتماعياً. تمثل الأولى التكوين العضوي البيولوجي، وتمثل الثانية الخصائص النفسية والذهنية التي تسوغها الظروف التاريخية والاجتماعية. والأخيرة هي التي تحدد مكانه في المجتمع والحياة والحضارة"<sup>26</sup>، ونستطيع أن نفهم عنصر الإنسان في نظرية "بن نبي" من خلال دراسته حياة الفرد والمجتمع وتأثير الفرد في بناء المجتمع وبذلك عد الإنسان أولوية لولادة الحضارة فإذا تحرك واندفع بفاعلية من خلال تحويل الفكرة إلى عمل نهضت الحضارة.

ب- **عنصر التراب:** يعتبر "بن نبي" التراب عنصر ثاني لقيام الحضارة وتُفسر ذلك بريون بقولها: "يتسع مفهوم التراب ليشمل كل ما فوق الأرض وما في بطنها من ثروات وموارد طبيعية، فهو يحمل دلالات المواد الخام الأساسية التي يمكن لأي دورة حضارية أن تبدأ منها"<sup>27</sup>، وقصد من هذا "بن نبي" التراب بالأرض التي تنطلق منها الحضارة والتراب يحمل في طياته مدلولات واسعة فهو من ناحية الوطن والأرض ومسقط الرأس، ومن ناحية أخرى الثروة الباطنة على الأرض فالحضارات قامت على التراب ودافعت عن التراب وزالت عليه، فالكلمة تحمل في معناها دلالات واسعة.

ج- **عصر الوقت أو الزمن:** جعل "مالك بن نبي" الوقت كعنصر ثالث من عناصر الحضارة وتشرح ذلك بريون بقولها: "يصبح الوقت المتجسد في (ساعات العمل) عملة ذهبية لا تستطيع قوة في العالم أن تلغي دقيقة منها، كما لا تستطيع أن تسترد تلك الدقيقة إذا ما انقضت. وفي هذه الحالة التي تتجسد فيها الفعالية يتحول الوقت من ساعات تمر إلى ساعات تثمر"<sup>28</sup>، وأعتبر "مالك بن نبي" أن الفاعل في هذه الثلاثية "الفكرة الدينية" فيرى أن الحضارة هيكل يتشكل من عناصر أساسية، الفاعل الأساسي فيها "الدين".  
ميلاد فكرة + ميلاد مجتمع = الحضارة

وهو بذلك يتفق مع "ابن خلدون" في أن الدين ركيزة لقيام الحضارة. وإذا ما نظرنا لمجرى الدورة الحضارية حسب نظرية "بن نبي" نلاحظ أنها تبدأ بشكل هرمي، فتبدأ بالفكرة، ثم الإنسان المحرك للفكرة، ثم التراب الذي يحوله الإنسان ويستثمر ما به، ثم زمان، فيكون النهوض والاكتمال بسيطرة الروح، حتى تغلب العقل مع وجود الروح فيبدأ الاضمحلال والضعف، وتنتهي بتحرر الغرائز وتقشيتها مع غياب سلطتي الروح والعقل وهنا تبدأ الحضارة بالأفول فهذه مرحلة الانهيار والزوال.

أما من جانب حركة الحضارة فيراها "بن نبي" متحركة في الأرض وليست ثابتة فهي لا تقبع وتستقر في مكان واحد على الأرض أو رقعة جغرافية معينة أو شعب مخصص، ولكنها تسير وتتحرك من منطقة لأخرى ومن شعب لأخر. وفي مقولته المشهورة يوضح ذلك بقوله: "إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية، فإننا نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر ونستنتج من ذلك الحضارة تدور حول الأرض كما تدور الأرض حول الشمس بمعنى أنها لا تختص بشعب معين فهي كالقانون الكوني.

رسم "مالك بن نبي" معالم دورته الحضارية في ثلاثة مراحل، الميلاد، الاكتمال، التدهور. في المرحلة الأولى تكون الروح هي السائدة على الجانب الغرائزي والعقلي، وهي مرحلة انبعاث الحضارة. وفي المرحلة الثانية يكون العقل هو الطاغي على الجوانب الأخرى، وهي ما ربطها بمرحلة الحضارة. أما المرحلة الأخيرة تكون الغرائز فيها متحررة من الروح والعقل ويؤدي ذلك لظهور الآفات في المجتمع فتضعف أو اصره وينحط، وهذه تعتبر مرحلة التدهور والخروج من الحضارة. وبهذا يخرج "بن نبي" الدورة الحضارية من الدائرة المغلقة بمعنى الزوال الحتمي، ويجعلها رهناً بفعالية الفكرة + فعالية الإنسان + فعالية المجتمع بقوله: "تكسب الجماعة الإنسانية صفة (المجتمع) عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها. وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة"<sup>29</sup>، وهذه العناصر الثلاثية، الإنسان والتراب والزمن، إذا ما لم يحسن الإنسان استغلالها فإنها لا تختفي لكنها تعود لسيرتها الأولى وتصبح خاملة.

### المبحث الثالث: مقارنة عامة بين الرؤية الإسلامية والغربية للحضارة

تتباين الرؤى حول موضوع الحضارة من حيث عوامل تطورها ودورها وتصنيفها، فنتفق الرؤية الإسلامية مع الرؤية الغربية في بعض النقاط بينما تختلف في أخرى، في هذا المبحث سنتناول في ثلاث مطالب أوجه الاتفاق والاختلاف بين الرؤيتين.

#### على مستوى نشأة الحضارة

تتفق الرؤية الإسلامية في أن من أسباب نشأة الحضارات "معيار الخلافة" الذي لا بد منه لقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: الآية 30).

فالرؤية الإسلامية تستمد رؤيتها لنشأة الحضارة أولاً مما ورد في القرآن الكريم كأسمى مصدر يعلو ولا يُعلَى عليه، فالتصور الصحيح القائم على منهج التوحيد الخالص لله عز وجل هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذا التوحيد هو ما دفع العرب الجاهليون الذين كانوا غارقون في عبادة الأوثان والأصنام إلى بناء حضارة عالمية لا زالت تعيش حتى يومنا هذا وامتدت حتى وصلت مناطق جنوب شرق آسيا شرقاً، وشبه جزيرة أيبيريا غرباً، عن طريق الخلافة التي بدأت مع خلق النبي آدم -عليه السلام- إلى أن نزل الوحي على النبي ﷺ واستمر عن طريق الخلفاء الراشدين ومن بعدهم عن طريق تمسكهم بهذا المعيار.

ولأن الحضارة لا تنتشأ إلا إذا كان الإنسان مهياً عقلياً لها حث القرآن الكريم على طلب العلم والقراءة لقوله عز وجل: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (4)﴾ (العلق: 1-5). فقد اعتبر القرآن الكريم العلم والقراءة من أسباب قيام وتطور الحضارة وقد حث الدين الحنيف على طلب العلم ولو كان في الصين! وهذا دلالة على أهمية العلم في نشأة وقيام الحضارة وضمان ديمومتها والعلم في الإسلام مرتبط بالتصور الصحيح.

علاوة على أن اعتبار منظومة القيم التي تركز على الالتزام بتعاليم الدين واجتناب نواهيهِ من أسباب قيام الحضارات، لأن رابطة الدين أقوى وأوثق رابطة يجتمع عليها المجتمع فالفراغ الروحي يؤدي إلى الانحلال والأخير يُنذر بزوال الحضارة وفقدانها لخواصها التي قامت عليها فتذوب تلك الحضارة بين باقي الأمم وتنتهي بالاندثار بعد فقدانها للعناصر وللخواص التي قامت على أساسها. ويؤكد على ذلك "أبو خليل" بقوله: "وحضارتنا العربية الإسلامية جعلت من أولى دعائمها: الإيمان بالله الواحد، الخالق، قيوم السماوات والأرض، ومن هذه الدعامة تفرعت بقية الأمور الاعتقادية، وعلمت الناس -أيما كانوا، وحيثما حلوا- أن يأخذوا من هذه الدنيا العلم والمعرفة، وأوجب إنهاء العقل، للتعرف على حقائق الكون والحياة، بعد أن جعل الله الإنسان خليفته في الأرض"<sup>30</sup>.

إن هذا التصور الإسلامي للحضارة الذي يتكون من الدين كأساس والثقافة والعمران قاد لنشأة واستمرار الحضارة الإسلامية. بينما، نجد لدى التصور الغربي الدين لا يُعد جزءاً أساسياً فهم يضعونه عنصر من عناصر الثقافة وليس الحضارة. فالرؤية الغربية لنشأة الحضارة هي المدنية والتي بدورها الانتقال من الريف إلى المدن والعمران حيث التطور والتمدن، والثقافة التي تشمل مفاهيم عدة منها: المعتقدات، والعادات والتقاليد، التاريخ، الفنون. عدها الغرب عوامل، واتفق الغرب مع الرؤية الإسلامية في أن المجتمع والروابط الاجتماعية من أهم العوامل في نشأة وقيام الحضارات وبقائها فالدول تنتشأ وتسقط، ولكن تبقى المجتمعات محتفظة بحضارتها، وبهذا تشترك الرؤية الغربية مع الإسلامية في أن عامل المجتمع فعال أكثر من الدولة في نشأة واستمرار الحضارة.

### على مستوى الدورة الحضارية

من ناحية الدورة الحضارية منذ النشأة إلى الزوال، ففي الفكر الإسلامي نجد أن زوال الحضارة ليس أمراً حتمياً، بمعنى أن الحضارة لا تسير في دائرة مغلقة، فالحضارة قد تمر بمراحل ضعف ووهن ومرض إلا أنها لا تزول، بل تعود لتنهض مرة أخرى لتعود لسابق عهدها. أما في الفكر الغربي، فيرى أن زوال الحضارة أمر حتمي، وقد تنبأ "أوسفالد شبنغلر" بتدهور وزوال الحضارة الغربية بسبب ما آلت إليه من تقديس للجانب المادي أكثر من أي شيء آخر وأهملت الدور المعنوي والأخلاقي والاجتماعي.

## على مستوى تصنيف الحضارات

يتم تصنيف الحضارات إلى بائدة وصغرى وكبرى، ومن المنظور الإسلامي فإن الحضارات القديمة والسابقة البائدة لا يمكن أن تكون أصل لحضارة ناشئة جديدة. وعند استحضار التاريخ نرى أن الحضارة الإسلامية عندما قامت فلم تقوم على بقايا حضارات سبقتها، بل قد وُلدت مع نزول الوحي على سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- ومنذ هجرته من مكة إلى يثرب وإطلاقه عليها اسم المدينة المنورة واتخاذها عاصمة للدولة الجديدة من هنا بدأت الحضارة الإسلامية بالبروز و قامت بإسقاط أكبر إمبراطوريتين في ذلك العصر، الإمبراطورية الفارسية، والإمبراطورية البيزنطية، وقضت على أكبر حضارتين آنذاك فهي حضارة أصلية لم تكن نابعة من حضارات سابقة.

إلا أن الفكر الغربي ومن أبرزهم "أرنولد توينبي" الذي يُصنف الحضارات إلى صنفان: حضارات أصلية، ويُعرفها بالحضارات التي لم تشتق من حضارات سابقة فهي وليدة نفسها ولم تأخذ من غيرها، وهي حسب تصنيفه "حضارة وادي الرافدين" و "حضارة وادي النيل". وحضارات مُشتقة، ويُصنف الأخيرة على شمولها لجميع الحضارات اللاحقة فيصلها بصلة البنوة بالحضارات التي سبقتها وهو بذلك يعتبر الحضارة الإغريقية والرومانية وما تلاها نتاج للحضارة الغربية اليوم وجزءاً منها. أما تصنيف الحضارات حسب العامل الديني فهي تُقسم إلى ثلاثة أقسام:

**حضارات كبرى:** الحضارة المسيحية الغربية، الحضارة الإسلامية، الحضارة الصينية، الحضارة الهندية، الحضارة الأميركية اللاتينية.

**حضارات صغرى:** الحضارة اليابانية، الحضارة الإفريقية، حضارة الشرق الأقصى.

**حضارات بائدة:** الحضارات الشعبية، الحضارة البابلية، الحضارة المسيحية الشرقية، الحضارة الإغريقية، الحضارة الفرعونية، الحضارة الهيلينية.

## الخاتمة وأهم النتائج

ختاماً، ومما تم استعراضه في هذه الدراسة، ينكشف لنا تعدد وتنوع المفاهيم حول الحضارة واختلاف النظريات حول عناصرها ودورها لدى كل مؤرخ من الذين ورد ذكرهم في الدراسة، مع الفارق في منظور كلاً من الفكر الإسلامي والغربي حول الحضارة.

ومن خلال هذه الدراسة، والبحث في مفهوم الحضارة وعناصر تكوينها، انتهت الدراسة إلى مجموعة نتائج وهي على البيان الآتي:

1. للحضارة مفاهيم كثيرة وتكاد جميعها تتفق في أن الحضارة مرحلة وعصر ذهبي من التطور الإنساني.
2. الحضارات البائدة ليست جزءاً أصيلاً للحضارات الناشئة من المنظور الإسلامي.
3. زوال الحضارة عند "مالك بن نبي" ليس حتمياً لأنه مرتبط بفعالية الفكرة والإنسان والمجتمع وهو يلتقي في ذلك مع الرؤية الإسلامية للحضارة.
4. يتفق "ابن خلدون" مع "مالك بن نبي" في أن العنصر الفعال في الحضارة هو العامل الديني.
5. فسر "ابن خلدون" نظرية الحضارة في شكل الدولة، ووضعها في دورة دائرية مغلقة فزوال الحضارة في نظريته أمر حتمي.
6. الحضارة عند "أوسفالد شبنغلر" شبيهة بالكائن الحي البيولوجي، وتمر الحضارة بأطوار تبدأ بالولادة وتنتهي بالشيخوخة حتى تموت وتنتهي فحتمية الزوال لا مفر منها.

7. الدين ليس من عناصر الحضارة في الفكر الغربي فالدين جزء من الثقافة وهذا يختلف مع رؤية الفكر الإسلامي الذي ينظر إلى الدين كأهم فاعل في نشأة وديمومة الحضارة.
8. البداوة سابقة على الحضارة وهي طور بدائي أولي من أطوارها، ومرحلة الحضارة هي نتيجة الانتقال من مرحلة البداوة إلى مرحلة التمدن والتحضر والإقامة في الحواضر والمدن وهو الاستقرار.
9. الرابطة العصبية عند "ابن خلدون" تشترك مع "مالك بن نبي" في العلاقات الاجتماعية في أن كلاً منهما يكونان في بداية نشأة الحضارة أقوى وأوثق من مراحل الترف والعمران عند "ابن خلدون" ومراحل سيطرة وتحرر الغرائز عند "مالك بن نبي".
10. تشترك النظريات في مجموعها في أن مقومات الحضارة تشتمل على العامل الجغرافي والبيئي، والعامل العقائدي والديني، وعامل المجتمع والثقافة، والعامل الاقتصادي.
11. قامت دول بارتكازها على العامل الديني والعصبي في نظرية "ابن خلدون" كالدولة العباسية والدول السعودية الثلاث.

#### التوصيات:

- ومما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة، وعلى ضوء ذلك نوصي بالنقاط التالية:
1. ضرورة التركيز على الرابطة العصبية في نظرية "ابن خلدون" وتخصيص دراسة منفصلة لها مع مقارنتها مع المجتمعات المدنية الحديثة التي تُركز على الفرد كعنصر فعال في المجتمع وتغفل دور الأسرة مع استنباط آثار غياب هذه الرابطة العصبية على مستقبل الحضارات المعاصرة.
  2. اللغة تبرز كمكون رئيسي ومظهر من مظاهر الحضارة والبعض يضعها في خانة الثقافة، إلا أنها لم تُولَ اهتمام المؤرخين والباحثين، فإذا كانت اللغة عنصر هام في الحضارة، نجد عدة حضارات مثل: الحضارة الإسلامية التي تحوي العديد من اللغات والغربية كذلك، وهذا يتطلب دراسة مستفيضة في اللغة كعنصر من عناصر الحضارة.
  3. الفكر الإسلامي يرى أن زوال الحضارة الإسلامية ليس حتمي، ولم يتطرق لباقي الحضارات، فهل الرؤية الإسلامية تنطبق على باقي الحضارات المعاصرة اليوم وهذا يتطلب دراسة فقهية في هذا الصدد.
  4. تشترك بعض الحضارات في نفس العرق الإنساني، وبعضها تشمل وتمتد لأعراق متعددة، وهذا يتطلب دراسة للحضارات القائمة على الأساس العرقي وما إذا كان العامل العرقي مؤثر في نشأة الحضارة.
  5. تتفق الرؤية الإسلامية مع الغربية في أن عنصر المجتمع عامل مهم في استمرار الحضارات. بينما، نرى أن بعض المنظرين الغربيين يتكهنون بحتمية زوال الحضارة الغربية، فهل قصدوا زوال الدولة أو التكتلات الغربية القائمة مع احتفاظ المجتمع بلامح حضارته وهذا هو "التدهور" أم زوال تام لمعالم الحضارة؟ وهذا التساؤل يدعو لدراسة في نظرية هؤلاء المنظرين ومقاصدها وما إذا كان زوال الحضارة حتمي أم يقتصر على مراحل التدهور والانحطاط.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م)، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 7 مجلدات، تحقيق أبو صهيب الكرمي، الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2009م.
- 2- أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دمشق: دار الفكر، 2002م.
- 3- بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، (ترجمة: عبد الصبور شاهين)، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1986م.
- 4- بريون، د. فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دمشق: دار الفكر، 2010م.
- 5- شبنغلر، أوسفالد، تدهور الحضارة الغربية، (ترجمة: أحمد الشيباني)، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 2009م.
- 6- ابن خلدون، ووافي علي عبد الواحد، مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار الشعب، 1950م.
- 7- بن نبي، مالك، مشكلة الثقافة. دمشق: دار الفكر، 2000م.
- 8- مناف، علاء هاشم، نظرية العقل العربي، بيروت: مؤسسة التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.
- 9- أنيس، عبد العظيم، العلم والحضارة، القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، 1967م.
- 10- ديورانت، ول وايريل، نشأة الحضارة، (ترجمة: د. زكي نجيب محمود)، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 2012م.
- 11- مؤنس، حسين، الحضارة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م.
- 12- لنتون، رالف، شجرة الحضارة، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م.
- 13- هيتو، محمد حسن، الحضارة الإسلامية والحضارة المادية المعاصرة، دمشق: دار الفارابي للمعارف، ط1، 2011م.
- 14- الجوهري، د. يسرى عبدالرازق، دراسات في جغرافية الإنسان "الجماعات البدائية"، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1979م.
- 15- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط1، 2003م.
- 16- باترسون، توماس سي، الحضارة الغربية الفكرة والتاريخ، (ترجمة: شوقي جلال)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001م.
- 17- عمارة، د. محمد، عوامل امتياز الإسلام الدين والحضارة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2005م.
- 18- ساعاتي، يحيى محمود، أسس الحضارة وعوامل السقوط، القاهرة: دار العلوم للطباعة والنشر، 1988م.
- 19- بن نبي، مالك، مشكلات الحضارة شروط النهضة، (ترجمة: عمر كامل مسقاوي و عبدالصبور شاهين، القاهرة: دار الكتاب المصري، 2012م.
- 20- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، (ترجمة: عادل زعيتر)، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م.
- 21- الخولي، محمد علي، أزمة الحضارة الغربية، الكويت: دار الفلاح للنشر والتوزيع، 1998م.
- 22- موسكاتي، سبتيانو، الحضارات السامية القديمة، (ترجمة: د. السيد يعقوب بكر)، بيروت: دار الرقي، 1986م.
- 23- دياكوف، ف، وكوفاليف، س، الحضارات القديمة، (ترجمة: نسيم واكيم اليازجي)، دمشق: دار علاء الدين، ط1، 2000م.
- 24- أور، فرنسيس، حضارات العصر الحجري القديم، (ترجمة: د. سلطان محيسن)، دمشق: مكتبة الإسكندرية، ط2، 1995م.
- 25- النجم، زياد عبدالكريم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية أنموذجاً)، دمشق: وزارة الثقافة، 2010م.
- 26- النشار، د. مصطفى، فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، القاهرة: نيويورك للنشر والتوزيع، ط1، 2017م.

27- Tāylwr, Idwārd, al-Thaqāfah al-bidā'iyah, 1871m.

<https://www.aljazeera.net/blogs/2018/3/24/%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85>

### الهوامش:

- 1- ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط1، 2003م، ج4، حرف الحاء، ص907.
- 2- تاييلور، إدوارد، الثقافة البدائية، 1871م.
- 3- هيتو، محمد حسن، الحضارة الإسلامية والحضارة المادية المعاصرة، دمشق: دار الفارابي للمعارف، ط1، 2011م، ص11.
- 4- ديورانت، ول وايريل، نشأة الحضارة، (ترجمة: د. زكي نجيب محمود)، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 2012م.
- 5- لنتون، رالف، شجرة الحضارة. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010، ص65.
- 6- مؤنس، حسين، الحضارة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م، ص13.
- 7- أبوخليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية. دمشق: دار الفكر، 2002م، ص20.
- 8- أبوخليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، ص20.
- 9- أبوخليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، ص21.
- 10- ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ص14.
- 11- أنيس، عبد العظيم، العلم والحضارة. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، 1967م، ص11.
- 12- مناف، علاء هاشم، نظرية العقل العربي، بيروت: مؤسسة التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م، ص15 و16.
- 13- بن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، دمشق: دار الفكر، 2000م، ص24.
- 14- الأحرار، مصعب، ثلاثية الثقافة والحضارة والإسلام، موقع الجزيرة الإعلامي، تاريخ نشر المقال: 2018/03/24، تاريخ زيارة الموقع: 2021/10/31، رابط الموقع على الشبكة العنكبوتية:  
<https://www.aljazeera.net/blogs/2018/3/24/%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85>
- 15- أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دمشق: دار الفكر، 2002م، ص19 و20.
- 16- ابن خلدون، ووافي علي عبد الواحد، مقدمة ابن خلدون، القاهرة: دار الشعب، 1950م، ص76.
- 17- ابن خلدون، ووافي علي عبدالواحد، مقدمة ابن خلدون، ص154.
- 18- ابن خلدون، ووافي علي عبدالواحد، مقدمة ابن خلدون، ص154.
- 19- ابن خلدون، ووافي علي عبدالواحد، مقدمة ابن خلدون، ص39.
- 20- ابن خلدون، ووافي علي عبدالواحد، مقدمة ابن خلدون، ص126.
- 21- ابن خلدون، ووافي علي عبدالواحد، مقدمة ابن خلدون، ص120.
- 22- ابن خلدون، ووافي علي عبدالواحد، مقدمة ابن خلدون، ص136.
- 23- شبنغلر، أوسفالد، تدهور الحضارة الغربية، (ترجمة: أحمد الشيباني)، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 2009م، ص218.
- 24- شبنغلر، أوسفالد، تدهور الحضارة الغربية، ص217.
- 25- بريون، د. فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دمشق: دار الفكر، 2010م، ص209.

- 26- بريون، د. فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ص 209.
- 27- بريون، د. فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ص 231.
- 28- بريون، د. فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ص 232.
- 29- بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، (ترجمة: عبد الصبور شاهين)، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1986م، ص 18.
- 30- أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، ص 11.